

## أدب الحوار في الإسلام

الأستاذ الدكتور: عبداللطيف بن عبدالله دهيش<sup>(١)</sup>

### الغاية من الحوار:

إقامة الحجة، ودفع الشبهة والفساد من القول والرأي. فهو تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

### تعريف الحوار:

الحوار في اللغة: الرجوع عن الشيء، حار على الشيء وعنه حواراً ومحاوراً ومحارة وحووراً: رجع عنه وإليه ... والحوار: التحير، والحوار: الرجوع. يقال: حار بعدما طار.

وفي لسان العرب: معناه من النقصان بعد الزيادة، وقيل: معناه من فساد أمورنا بعد صلاحها، وأصله من نقض العمامة بعد لفها، مأخوذ من كور العمامة إذا انتقض ليها وبعضه يقرب من بعض، وكذلك الحوار بالضم، وفي رواية: بعد الكون، قال أبو عبيد، سئل عاصم عن هذا فقال: ألم تسمع إلى قولهم: حار بعد ما كان؟ يقول إنه كان على حالة جميلة فحار من ذلك، أي رجع ... وفي المثل: حور في محارة، فمعناه نقصان في نقصان، ورجوع في رجوع<sup>(١)</sup>.

وحاره محاورة وحواراً: جاوبه وراجع الكلام .. تحاور القوم تحاوراً: تراجعوا الكلام وتجاوبوا<sup>(٢)</sup>.

(١) بكالوريوس في التاريخ من كلية الآداب جامعة الملك سعود.

— دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة ليدز — بريطانيا عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

— يعمل الآن أستاذاً بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة أم القرى.

— عضو الهيئة الاستشارية لمجلة الدرعية.

(١) ابن منظور. لسان العرب: ١٠٤٢/٢.

(٢) جماعة من المختصين بإشراف: أحمد أبو حاق. معجم النفائس الكبير — ط ١ — بيروت: دار النفائس، سنة ١٤٢٩هـ/

٢٠٠٨م، ص ٤٥٤.

والحوار في الاصطلاح: أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر من منطقته وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره.

قال الله تعالى: "إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ"<sup>(١)</sup>؛ أي ظن أنه لن يرجع مبعوثاً يوم القيام، هذا ما يؤكد المعنى الاصطلاحي لمفردة: حوار، ويتحاورون: يتراجعون الكلام، فالحوار أخذ ورد في الكلام بين طرفين يبدأ من طرح لفكرة يبدأ منه أحد الطرفين، فيقوم الطرف الآخر بتمثيل هذا الطرح، ويرد عليه فينتج من ذلك تجاوب يولد عند كل من الطرفين مراجعة لما طرحه الطرف الآخر، ولذلك يكون المحاور مستعداً للتراجع أو التنازل عن بعض مواقفه أو بعض ما في مواقفه؛ أو أنه يكون مستعداً للتحول من حال إلى حال، والحوار لا يلتزم أسلوباً واحداً، بل قد يكون المحاور مستفسراً طارحاً الأسئلة، وقد يكون في حالة التنفيذ ودحض ما طرحه الآخر، وقد يعتمد إلى عرض البراهين والحجج دعماً لموقفه الذي طرحه<sup>(٢)</sup>.

فالحوار منهج يحتاجه كل مجتمع إنساني من لقاء اثنين في الأسرة، فالعائلة، فالقبيلة، فالمدينة، فالأمة، فالأمم، ولا يكون اجتماع بشري دون حوار، لكن الحوار قد يتخذ المنحى الإيجابي الذي يقوم إلى التفاهم، ويؤسس لعلاقات سليمة، وقد يتخذ المنحى السلبي وأساليب القسوة والعنف، فتكون بسببه القطيعة والنفور والتباغض، والحوار الإيجابي هو ما رافقه العلم والوعي، وحضور العقل في كل خطوة<sup>(٣)</sup>.

أما إذا كان الحوار مبنياً على الجهل والعصبية والانفعال، فإن نتاجه تكون مخيمة، فالحوار لا تكون فيه معاندة، بل منهجه يستلزم أن يدخله الأطراف، وعندهم الجاهزية للتنازل أو للتراجع عما يبين لهم الآخرون عدم جدواه، أو الاستعداد للانتقال إلى ما يطرحه الآخر، إذا كان ما يطرحه محققاً في مواجهة باطلٍ ما.

(١) سورة الانشقاق، الآية: ١٤.

(٢) أسعد السحمراني. الحوار في القرآن والسنة، الأسس والمنطلقات، من أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، رابعة العالم الإسلامي، ص ٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٩.

وقد أسس اللغويون لهذا حين قالوا: المحاورّة؛ المجاوبة، والتحاوّر؛ التجاوب، والمتجاوب هو من هجر السلبية والمعاندة والتعصب للرأي؛ ليأخذ بما يبدو له عند الحوار مع آخرين أنه الصواب والحق<sup>(١)</sup>.

إن الواقع المعاصر بما يسوده من أشكال العداوة والتراع والحروب تحت مسميات متعددة، وبسبب مآرب ومقاصد طابعها الظلم لن يكون الخروج منها بغير حوار بناء ينطلق من قيم الخير والحق والعدل؛ ليكون التعاون المثمر حضارياً في سبيل إسعاد الإنسان.

هذا الحوار هو الذي يقبله المسلمون انطلاقاً من شريعة الإسلام التي نصت على تكريم بني آدم، وقد قال في هذا أحد دعاة الحوار من المسلمين: إن الحوار هو الوسيلة المثلى للوصول إلى الحق. وإننا حين نتأمل في ضوئه واقع الحياة الإنسانية اليوم، ننتهي إلى ضرورته لإحلال التفاهم، وتقوية التعاون، وللتقريب بين الناس على ما بينهم من اختلاف لا سيما بعد أن زالت أو كادت المسافات بين الأقطار والمجتمعات، وقويت وسائل التواصل وتعددت، وحلت كل مكان، وبذلك يتحقق التعاون الذي دعا إليه الإسلام والذي به يحل السلام والحق<sup>(٢)</sup>.

### الألفاظ المرادفة للحوار:

إن التواصل ضروري بين الناس على تنوع عقائدهم، وتعدد أفكارهم، وتقارب قيمهم أو تباعدها، يضاف إلى ذلك ما يقوم من تنوع في اللغة والثقافة والميول والمقاصد، وهذا التنوع آية ربانية، حيث الناس من أصل واحد، وقد توزعوا فأصبح الاختلاف واقعاً.

لكن العيش الكريم الذي يؤمن سعادة الإنسان المستخلف في الأرض يحتاج إلى مواقع للقاء وفق أسس وقواعد، ولا يكون ذلك بغير حوار أو جدل أو مناظرة تمهيداً للتعارف؛ لأن العلاقات التي تقوم على التعاون تدوم، وما كان على قاعدة الجهل بالآخر نتائجه ستكون غير صحيحة<sup>(٣)</sup>.

(١) أسعد السحمراني. الإسلام والآخر - ط ١ - بيروت: دار النفائس، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٧، ١٨.

(٢) عباس الجراي. الحوار من منظور إسلامي، الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٥٧.

(٣) أسعد السحمراني. الحوار في القرآن والسنة، الأسس والمنطلقات، من أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، رابطة العالم الإسلامي، ص ٧.

لذلك كان البلاغ الإلهي للناس في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"<sup>(١)</sup>، فلا يخفي على أحد من أهل الدراية أهمية ضبط المصطلح، وتحديد المفاهيم، ويلاحظ المتابع أن اللبس الذي يحيط بالمصطلح أو بالمفهوم يقوم غالباً إلى تشويش وتشتت في الفكر، وينتج عن ذلك سلبيات لها مردود غير حميد، وإذا كان أمر التواصل بين المسلمين وغير المسلمين مهماً؛ فإن ضبط المصطلحات المتعلقة بهذا الاتصال والتواصل يكون من المقدمات التي تؤصل لهذه الفاعلية<sup>(٢)</sup>.

إذن فالألفاظ المترادفة للحوار هي: (الجدل - المناظرة) وجميعها تأتي لحل خلاف ينشأ بين أي طرفين أو أطراف مختلفين، ويجدر بنا أن نعرف لفظة الخلاف أولاً، ثم نخرج على تعريف الألفاظ المعنية بالحوار:

وهذا الاختلاف واقع وحقيقة وهو غير الخلاف، فالخلاف لدد وخصام ونزاع، والاختلاف إقرار بالتنوع، وبوجود آخر ليكون بعد ذلك: حوار، أو جدل، أو مناظرة، وفيما يلي تفسير تلك المصطلحات:

### الخلاف والاختلاف:

الاختلاف هو التباين في الرأي والمغايرة في الطرح وقد ورد فعل الاختلاف كثيراً في القرآن الكريم قال تعالى: "فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ"<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: "فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: "وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ"<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: "وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ"<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الحجرات، ص ٧.

(٢) أسعد السحمراني. الحوار في القرآن والسنة، الأسس والمنطلقات، من أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، رابطة

العالم الإسلامي، ص ٨.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٦) سورة الشورى، الآية: ١٠.

أما الخلاف فهو مقدر من خالف إذا عارضه، قال تعالى: "وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ"<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ"<sup>(٢)</sup>.

وجاء بصيغة المصدر قال تعالى: "وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا"<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: "وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ"<sup>(٤)</sup>.

والاختلاف قد يوحي بشيء من التكامل والتناغم كما في قوله تعالى: "فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا"<sup>(٥)</sup>.

وأما الخلاف فإنه يوحي بذلك وينصب الاختلاف غالباً على الرأي اختلف فلان مع فلان في كذا والخلاف ينصب على الشخص.

ثم إن الاختلاف لا يدل على القطعية، بل قد يدل على بداية الحوار، فإن عبد الله بن مسعود اختلف مع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في مسألة إتمام الصلاة في سفر الحج ولكنه لم يخالف، بل أتم معه وقال: الخلاف شر. عن عبد الرحمن بن يزيد قال: "صل عثمان بمخى أربعاً، فقال عبد الله: صليت مع النبي - صل الله عليه وسلم - ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين، زاد عن حفص، ومع عثمان صدراً من إمارته، ثم أتمها، زاد من ههنا، عن أبي معاوية، ثم تفرقت بكم الطرق، فلوددت أن لي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين، قال الأعمش: فحدثني معاوية بن قرّة عن أشياخه؛ أن عبد الله صلى أربعاً، قال: فقبل له عبت على عثمان، ثم صليت أربعاً، قال: الخلاف شر"<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٦) سنن أبي داود ج ٢ ص ١٩٩ (١٩٦٠م).

وقد يدل الخلاف على القطيعة، هذه الإيحاءات والظلال جعلتنا نفصل كلمة الاختلاف التي قد تكون مقدمة للتفاهم والتكامل على كلمة الخلاف وإن كان العلماء يستعملون كلتا الكلمتين لتأدية المعنى نفسه باعتبارهما من المترادف فتعاوران وتتعاقيات<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي رحمه الله: "إن الاختلاف بين الناس في شؤون دينهم أو ديناهم أمر قديم، وسيبقى قائماً من المبادئ السامية، والآداب العالمية، والهدايات الرفعية، ما ينظم هذه الخلافات، والمحاورات، والمناظرات، التي تحدث بين الناس، وما يجعلها تدور في إطار المنطق السليم، والفكر القويم والجدال بالتي هي أحسن، وما يجعل هدفها الوصول إلى الحق والخير، ومنفعة الناس في حدود ما أحله الله تعالى لهم"<sup>(٢)</sup>.

### أهمية أدب الخلاف:

الاختلاف سنة كونية، منحت الحياة ألواناً مختلفة من نتائج الأفكار، وأنماطاً متعددة من آثار السلوك والأفعال، وجعلت التعدد والتباين بين الناس في رؤاهم ونظرتهم للأشياء أصلاً من الأصول التي بني عليها فكر الأمة، والجميع بحاجة إلى مراعاة أدب الخلاف وأخلاقيات الحوار:

- يحتاج إليه الحاكم؛ ليحفظ حقوق رعيته، حتى ممكن يختلفون معه؛ كما حفظ النبي صل الله عليه وسلم حقوق الناس كلهم؛ فحفظ حقوق المخالفين بالمدينة من اليهود والمنافقين. أما أصحابه فلا تسأل عن صبره وصفحه وتجاوزته وإنصافه من نفسه عليه الصلاة والسلام، وإعطائه الحق لطالبه، وكما حفظ أصحابه العهد من بعده، فهذا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه حينما انشق عنه الخوارج في مواجهة عسكرية أضرت بالتاريخ والخلافة والفتح الإسلامي — يتحدث عنهم ويقول: إخواننا بغوا

(١) عبد الله بن بيه. أدب الاختلاف، ورقة عن أدب الاختلاف مقدمة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، جمادى الآخرة

١٤٢٢هـ، ص ٢.

(٢) محمد سيد طنطاوي. أدب الحوار في الإسلام — القاهرة: دار النهضة، ١٩٩٧م.

علينا، ويرفض أن يصفهم بكفر أو غير ذلك، ثم يحفظ لهم حقوقهم ما لم يحملوا السلاح ويخيفوا السبيل، ويستحلوا الدم الحرام<sup>(١)</sup>.

- يحتاج إليه العالم ليحفظ حقوق الطلاب، ويعدل بينهم ويحسن الظن بأسئلتهم وإشكالاتهم واعتراضاتهم، ويفتح لهم صدره، ويربيهم على المسؤولية المستقلة، وليس على الذوبان في شخصية الشيخ؛ ليخرج لنا سادة نبلاء نجباء، وليس مقلدين أتباعاً ضعفاء<sup>(٢)</sup>.

يحتاج إليه الأب تحبباً إلى قلوب ولده، وعذراً لهم فيما خالفوه فيه، وإدراكاً أنهم صغار قوم كبار آخرين، فليس المطلوب أن يكون الولد أو أن تكون البنت صورة طبق الأصل عن الوالد، أو الأبوين، بل للولد بصمته الخاصة في فكره وعقله، كما له بصمته في يده، أو في كلمته، أو في عينه، أو في بنائه، أو في نبرة صوته<sup>(٣)</sup>.

#### الجدل:

الجدل لغة: اللد في الخصومة والقدرة عليها، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالاً، الاسم: الجدل، وهو شدة الخصومة، ويقال: إنه لجدل إذا كان شديد الخصام<sup>(٤)</sup>.

وقال الجرجاني: "الجدل هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، والجدل رفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة"<sup>(٥)</sup>.

---

(١) سلمان بن فهد العودة. محاضرة ألقيت في صالة النشاط الثقافي بمدينة الأمير محمد بن سعود الرياضية بالمدينة المنورة، المنظمة من قبل الأمانة العامة لجائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنّة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة في شهر جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، بعنوان: (كيف نختلف).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن منظور: لسان العرب: ٥٧١/١.

(٥) علي بن محمد الشريف الجرجاني. كتاب التعريفات؛ تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي - ط ١ - بيروت: دار النفائس، ١٣٧٠هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٣٧.

إن الجدل ينطلق من أسس راسخة يؤمن بها من يحملها، ويلتزمها بثبات دونما ميل إلى التنازل أو التراجع عن أي شيء فيها؛ بخلاف الحوار الذي يركز على المراجعة والتنازل. فالجدل يشير إلى تمسك طرف أو شخص بموقف، والمعادنة فيه وعدم الاستعداد للتراجع أو التنازل، ولذلك يقال: الجدل، شدة الخصومة، أو تجادلاً؛ فالمجادلة تؤثر دوماً إلى المحاصمة والتناقض في الرأي، بحيث يكون الهدف إلزام الخصم بما عليه المجادل<sup>(١)</sup>.

والجدل يكون على نوعين:

- جدل مذموم وهو الذي يكون مرتكزاً إلى الباطل، ويقصد به صاحبه المراء أو الكبير أو حب الظهور والشهرة مع المعاندة بما هو فاسد.

- جدل محمود مطلوب وهو الذي يهدف إلى استمالة الخصم بقوة الدليل والحجة، وهذا النوع يركز على الحق، ويكون صاحبه صلباً يسعى لغلبة الحقيقة<sup>(٢)</sup>.

والمجادل المحق الذي يمتلك الحجة خصومه من دعاة الباطل استناداً إلى بيان وبرهان؛ ليعجزهم؛ لأنهم لا يملكون ذلك، وفي الآية الكريمة مواجهة مع من زعموا أن الجنة مأجّم من غير المسلمين، وقد قال الله تعالى: "هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"<sup>(٣)</sup>.

إن الدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى دين الحق، لذلك كان الجدل ضرورة لكل داعية، وقد بين ابن الجوزي الحاجة إلى علم الجدل، فقال: إن معرفة هذا العلم لا يستغنى عنها ناظر، ولا يتمشى بدونها كلام مناظر؛ لأن به يتبين صحة الدليل من فسادة تحريراً وتقريراً وتتضح الأسئلة الواردة من الردود إجمالاً، وتفصيلاً، ولولاه لاشتبه التحقيق في المناظرة بالمكابرة، ولو خلي كل مدع ودعوى ما يرومه على الوجه الذي يختار أو مكن كل ممانع من

---

(١) أسعد السحمراني. الإسلام والآخر، ص ١٨.

(٢) أسعد السحمراني. الحوار في القرآن والسنة، الأسس والمنطلقات، من أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، رابطة

العالم الإسلامي، ص ١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١١.



ممانعة ما يسمعه متى شاء لأدى إلى الخط، وعدم الضبط، وإنما المراسم الجدالية تفصل بين الحق والباطل، وتميز المستقيم من السقيم<sup>(١)</sup>.

ولكي يدحض المجادل الباطل وبيّن قهافت حجة الخصم ومنطقه، ويقول فيه القنوجي: "علم الجدل: هو علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام أي وضع أريد ونقض أي وضع كان، وهو من فروع علم النظر، ومبني لعلم الخلاف. مأخوذ من الجدل الذي هو أحد أجزاء مباحث المنطق، لكنه خص بالعلوم الدينية، والغرض منه تحصيل ملكة النقض والإبرام والهدم والأحكام، وفائدته كثيرة في الأحكام العلمية من جهة الإلزام على المخالفين ورفع شكوكهم.. والإنصاف أن الجدل لإظهار الصواب على مقتضى قوله تعالى: "وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"<sup>(٢)</sup>. لا بأس به وربما ينتفع به في شحذ الأذهان وتصقيل الخواطر وتمكين الطباع والممنوع هو الجدل الذي يضيع الأوقات ولا يحصل منه طائل"<sup>(٣)</sup>.

فالجدل إذن نوعان:

- ١ - جدل يعود صاحبه المناظرة والمواجهة ويصقل الشخصية، ويعود بالنفع الذي هو دحض الباطل، وإظهار الحق.
- ٢ - جدل مذموم يضيق الأوقات، ولا يجلب سوى الحسد والبغضاء ولا يوصل إلى نتيجة، وهو جدل عقيم.

الجدل يكون في عرض متعلقات الدعوة، والصلابة في الموقف الإيماني، حيث لا مجال للمراجعة أو التراجع؛ بينما الحوار يكون في شؤون تحتل ذلك كالأوضاع الاقتصادية

---

(١) محي الدين يوسف بن عبد الرحمن ابن الجوزي. كتاب الإيضاح لقوانين الإصلاح لقوانين الاصطلاح في الجدل والمناظرة؛ تحقيق محمود محمد السيد الدغيم - ط ١ - القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٩٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) صديق بن حسن خان القنوجي. أبعاد العلوم - ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية، سنة ١٣٢٠هـ / ١٩٩٩م، ١٧٦/٢ - ١٧٨.

والسياسية والفكر التربوي، والعلاقات بين الدول والجماعات البشرية، ولذلك يكون الجدل في الموقع الإسلامي في المسائل الدينية. أما الحوار فيكون في كل شؤون الحياة<sup>(١)</sup>.

### المناظرة:

المناظرة لغة: علم يعرف به آداب طرق إثبات المطلوب ونفيه، أو نفي دليله مع الخصم.

والمناظرة: مجادلة بين شخصين في موضوع أدبي أو سياسي أو نحوه أمام الجمهور، وفن من فنون الإنشاء كثير الأناقة، يقوم على نسبة الكلام إلى متخاصمين يفاخر أحدهما الآخر<sup>(٢)</sup>.

والمناظرة، كما الحوار أو الجدل هي كلام يتبادل طرفان يعتمد كل منهما إلى ترتيب كلامه منهجياً وتقويته بالأدلة مقارناً مع كلام من يناظره ليظهر الحق على يده.

والمجادلة تنطلق من أمور مسلمة هي أنها تحمل الحق وتعمل لإلزام الآخر به.

والمحاور يدخل اللقاء الحواري ويتجاوب مع الآخر مع توليد أفكار جديدة ينتجها مسار الحوار، وأما المناظر فإن الهدف عنده تبيان الحقيقة، وإن كان جدياً لا يهمه ما إذا كانت الحقيقة ستظهر على لسانه أو على لسان من يناظره، هذا ما ذهب إليه القنوجي، حيث قال: "علم المناظرة: علم باحث عن أحوال المتخاصمين ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب حتى يظهر الحق بينهما"<sup>(٣)</sup>.

والمناظرة عند علماء المصطلح هي: "المحاور في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهم في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة الظن ليظهر الصواب"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أسعد السحمراني. الحوار في القرآن والسنة، الأسس والمنطلقات، من أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، رابطة العالم الإسلامي، ص ١١.

(٢) معجم النفائس الكبير، ٢/٢٠١٧.

(٣) القنوجي. أبعاد العلوم، ٢/٤٢٨.

(٤) محمد الأمين الشنقيطي. آداب البحث والمناظرة - القاهرة: مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ، ص ٣.

فالمناظرة عمل محمود الأساليب والنتائج، ونقيضه المكابرة، وهي مذمومة في أسلوبها وسلبية في نتائجها، وكأن الأمر يلتقي مع حالة الجدل، فمنه المحمود وتحاكيه المناظرة، وهناك الجدل المذموم وتحاكيه المكابرة<sup>(١)</sup>.

قال ابن خلدون: "الجدل هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم؛ فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظر عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكون ولخصمه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه: إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه"<sup>(٢)</sup>.

إن هذه القواعد المنهجية التي أشار إليها ابن خلدون يحتاجها كل موقع فيه مناظرة أو حوار، وهناك للجدل كذلك آدابه أو الأصول أن الإنشاء الجيد المشبع خطاباً أو كتابة بالكلم الطيب يكون له نتائج الإيجابية، ويكون خلاف ذلك الخطاب المشحون بالانفعالات والكلام الخبيث أو عندما تكون النتائج في غير المقاصد السامية المرادة سواء للاستمالة والاستقطاب أو للاقتناع أو للتقارب والتفاهم؛ تمهيداً لعلاقات حياتية مستقرة<sup>(٣)</sup>.

فلهذا كان الإسلام دين حوار، وقد أعطى أهمية كبرى للحوار، ووضع له قواعد وضوابط وآداباً، وسيجد كل محاور مبتغاه في كتاب الله وسنة ورسوله صل الله عليه وسلم، عند تصديه للحوار مع أهل الديانات والثقافات المختلفة، وفي ذلك دليل على حيوية وواقعية الإسلام وقدراته على كونه ديناً لكل زمان ولكل مكان.

---

(١) أسعد السحمراني. الحوار في القرآن والسنة، الأسس، من أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، رابطة العالم الإسلامي، ص ١٧.

(٢) عبد الرحمن ابن خلدون. المقدمة — بيروت: دار القلم، بدون تاريخ، ص ٣٦٢.

(٣) أسعد السحمراني. الحوار في القرآن والسنة، الأسس والمنطلقات، من أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، رابطة العالم الإسلامي، ص ١٨.

فثقافة الحوار انتشرت وفتحت آفاقاً جديدة لم تكن موجودة من قبل، وهذا بدوره يعطينا ثقة أكبر، ووعياً زائداً لتدارك أخطائنا وحالاً لمشكلاتنا وأيضاً مرونة في تحديد مسارات الخلل ومسارات التفوق.

وقد حفل القرآن الكريم بكثير من المواقف الحوارية، التي بلغت قرابة المئة والعشرين موقفاً حوارياً، غير الآيات الخطابية التي تبدأ بـ "يَا أَيُّهَا النَّاسُ" و"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ"، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"<sup>(١)</sup>.

وفي القرآن الكريم قصص عن الأنبياء وأقوالهم تعتبر حوارات مهمة، تساعد المسلم الداعية في كل زمان ومكان؛ ليتعلم منها كيف يحاور الآخرين<sup>(٢)</sup>.

وتعرض القرآن الكريم أيضاً للحوار بأساليب مختلفة ومتعددة، ففي بعض الآيات تظهر الدعوة إلى الحوار، أو إلى شيء من ضرورياته وأصوله، وفي آيات آخر حث على التزام آداب عامة للحوار، وفي قسم منها بيان آداب خاصة من آداب الحوار، وفي قسم آخر نماذج وأمثلة للحوار<sup>(٣)</sup>.

يقول الحافظ الذهبي: "إنما وضعت المناظرة لكشف الحق، وإفادة العالم الأذكي العلم لمن دونه، وتنبيه الأغفل الأضعف".

هذه هي الغاية الأصلية، وهي جلية بينة، وثمة غايات وأهداف فرعية أو ممهدة لهذا الغاية منها:

- إيجاد حل وسط يرضي الأطراف.
- التعرف إلى وجهات نظر الطرف أو الأطراف الأخرى، وهو هدف تمهيدي مهم.

(١) أحمد القاضي. الحوار في القرآن والسنة: أسسه وأهدافه، ص ١٨٨.

(٢) بسام عجلك. الحوار في الكتاب والسنة مبادئه وأهدافه، ص ١٨٨.

(٣) يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة - مكة المكرمة: دار التربية والتراث، أصله رسالة ماجستير من جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٤٨.

- البحث والتنقيب، من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنويع الرؤى والتصورات المتاحة، من أجل الوصول إلى نتائج أفضل وأمكن، ولو في حوارات تالية<sup>(١)</sup>.

### أصول وقواعد ينبغي مراعاتها في أدب الحوار:

لابد لمن يتصدى للحوار أن يتمتع ببعض الصفات، وأهمها: أن يكون لبقاً، وحكيماً في دعوته، وأمره ونهيهِ، واضعاً نصب عينيه قول الحق تبارك وتعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"<sup>(٢)</sup>، وأن يحسن الكلام والنصيحة، ويدعو إلى الهدى، فالكلمة الطيبة التي يلقيها الداعية الصادق تجد القبول والقناعة لدى الطرف الثاني. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: "من دعا إلى هدى كان من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم ياً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"<sup>(٣)</sup>.

ولأن الحاجة إلى الحوار ضرورية وملحة في الدعوة الإسلامية؛ فقد رسم الرسول صل الله عليه وسلم أروع الأخلاق في الحوار وأحسنها، بل واسماها وأنبأها؛ لأنها مطلب إلهي أوصى الله به رسوله صل الله عليه وسلم في كثير من الآيات القرآنية العظيمة، والتي من بينها قوله تعالى: "وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ". كما اهتم الإسلام بالحوار اهتماماً كبيراً، وذلك لأن الإسلام يرى أن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبيعتها وفطرتها إلى الحوار، أو الجدل كما يطلق عليه القرآن الكريم في وصفه للإنسان: "وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا"<sup>(٤)</sup>.

ولهذا فإن للحوار أصولاً متبعة، وقواعد ينبغي مراعاتها، وعلى من يريد المشاركة في أي حوار أن يكون على دراية تامة بأصول الحوار المتبعة؛ لينجح بعون الله في مسعاه، ويحقق ما يرمى إليه، ومن آداب الحوار وأصوله ما يلي:

---

(١) صالح بن عبد الله بن حميد. أصول الحوار وآدابه في الإسلام - ط ١ - مكة المكرمة: دار المنارة للنشر والتوزيع،

١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص ٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٦ (٢٦٧٤).

(٤) سورة طه، الآية: ٤٤.

١- إخلاص النية لله تعالى وهي الأساس في ذلك، وأن يكون الهدف هو الوصول إلى الحقيقة، فيلزم من الحوار أن يكون حسن المقصد ليس المقصود منه الانتصار للنفس إنما يكون المقصود منه الوصول إلى الحق أو الدعوة إلى الله عز وجل.

٢- فهم نفسية الطرف الآخر، ومعرفة مستواه العلمي، وقدراته الفكرية سواء كان فرداً أو مجموعة؛ كي يسهل عليه مخاطبتهم بحسب ما يفهمون.

٣- تقدير الخصم واحترامه؛ فلا بد أن يسود الاحترام المتبادل بين جميع الأطراف، فيخاطب كل طرف بالعبارات اللائقة، والألقاب المستحقة، والأساليب المهدبة. فتبادل الاحترام يقود إلى قبول الحق، والبعد عن الهوى، والانتصار للنفس. أما انتقاص الرجال وتجهيلها فأمر معيب محرم. وما قيل من ضرورة التقدير والاحترام، لا ينافي النصح، وتصحيح الأخطاء بأساليبه الرفيعة وطرقه الوقورة.

٤- حسن الخطاب، والتزام القول الحسن، وعدم استفزاز وازدراء الآخر، فلا بد من احترام آراء الآخرين، ولنا في حوار الأنبياء مع أقوامهم أسوة حسنة، فموسى وهارون عليهما السلام أمرهما الله أن يقولوا لفرعون قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى. قال الله عز وجل: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" (١). وقال تعالى: "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا" (٢). وقوله عز وجل: "وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (٣). وقال سبحانه: "وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (٤). فلا بد للمحاور أن ينأى بنفسه عن أسلوب الطعن والتجريح والهزء والسخرية، وألوان الاحتقار والإثارة والاستفزاز.

٥- حسن الاستماع لقوال الطرف الآخر، وتفهمها فهماً صحيحاً، وعدم مقاطعة المتكلم، أو الاعتراض عليه في أثناء حديثه.

٦- التراجع عن الخطأ والاعتراف به، فالرجوع إلى الحق فضيلة.

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٧- أن يكون الكلام في حدود الموضوع المطروح، وعدم الدخول في موضوعات أخرى.

٨- البعد عن رفع الصوت، والصياح، والغلط، والغلط، والفحص في الكلام، قال رسول الله صل الله عليه وسلم: "ليس المؤمن باللعان ولا بالطعان ولا الفاحش ولا بالبذيء"<sup>(١)</sup>. ولا بد أن يتأسى بخلق رسول الله الكريم صل الله عليه وسلم فقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: لم يكن النبي صل الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً"<sup>(٢)</sup>.

٩- البعد عن الإعجاب بالنفس، وحب الظهور ولفت أنظار الآخرين. فينبغي من المحاور أن لا يستخدم عبارات بضمير المتكلم إفراداً أو جمعاً؛ فلا يقول: فعلت وقلت، وفي رأيي، ودرسنا، وفي تجربتنا؛ فهذا ثقيل في نفوس المتابعين، ويدل على الإعجاب بالنفس، ومن الأفضل أن يتكلم بضمير الغيبة فيقول: يبدو للدارس، وتدل تجارب المهتمين، ويقول المختصون، وفي رأي أهل الاختصاص، ونحو ذلك.

١٠ - التروي وعدم الاستعجال في الكلام إلا بعد التفكير والتأمل في مضمونه، وما يترتب عليه.

١١ - عدم المبالغة في رفع الصوت، إذ ليس من قوة الحجة المبالغة في رفع الصوت في النقاش والحوار بل كل ما كان الإنسان أهدأ كان أعمق.

١٢ - الالتزام بوقت محدد في الكلام؛ فلا ينبغي للمحاور أن يستأثر بالكلام، ويستطيل في الحديث، ويسترسل في الكلام، يقول ابن عقيل: (وليتناوبا الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث ينصت المعارض للمستدل حتى يفرغ من تقريره للدليل، ثم المستدل للمعارض حتى يقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منهما على الآخر كلامه وإن فهم مقصوده من بعضه).

١٣ - حصر المناظرات في مكان معين ومحدود، فهذا أجمع للفكر والفهم، وأقرب لصفاء الذهن، وحسن القصد، وحضور الجمع الغفير إنما يحرك دواعي الرياء، ويؤدي إلى حرص

(١) مسند أبي يعلى ج ٩ ص ٢٥٠ (٥٢٦٩).

(٢) أخرجه البخاري صحيحه: ج ٣ ص ١٣٠٥ (٢٣٦٦).

المحاور إلى التقدم والغلبة إما بالحق أو بالباطل، ويستدل على ذلك بقول الله تعالى: " قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَرٍ مُنْتَمِيٍّ وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا " (١). فالأجزاء التي يتواجد فيها جموع حاشدة وكثيرة تغطي الحق، وتشوش الفكر، فالحشود والجموع الكثيرة غالباً ما تكون فئات غير مختصة؛ فتشوش على الحوار، فيلتبس الحق. أما حينما يكون الحديث مثنى وفرادى وأعداداً متقاربة يكون أدعى إلى استجماع الفكر والرأي.

إذن فالحوار الإيجابي الصحي هو الحوار الموضوعي الذي يرى الإيجابيات والسلبيات في ذات الوقت، ويرى العقبات ويسهم في إمكانية التغلب عليها، وهو حوار صادق عميق وواضح الكلمات، ومدلولاتها وهو الحوار المتكافئ الذي يعطي لكلا الطرفين فرصة التعبير، ويحترم الرأي الآخر ويعرف حتمية الخلاف في الرأي بين البر وآداب الخلاف وتقبله.

#### مبادئ ثابتة ومقبولة بين طرفي الحوار:

- ١ - الحقيقة الربانية مطلقة لا تتعدد .. ولكن الذي يتعدد فهم البشر لها.
- ٢ - التعددية الدينية منشؤها اختلاف الأتباع .. لا اختلاف الأنبياء.
- ٣ - الحوار: حوار أتباع أديان .. لا حوار أديان.
- ٤ - الحوار وسيلة نبيلة لغاية أجل هي: التعارف والتفاهم والتعايش.
- ٥ - الحوار: واجب ديني ونهج حضاري ومسلك أخلاقي.
- ٦ - القيم الدينية الربانية هي المصدر الأساس لتحقيق الأفضل لحياة الناس.
- ٧ - العدل والسلام أساس العلاقة الآمنة بين الناس.
- ٨ - كرامة الإنسان هبة من الله تعالى.
- ٩ - الاعتراف القائم بين أتباع الأديان: اعتراف وجود ... لا اعتراف اعتقاد.

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٦.



١٠ - الدين يعرض ولا يفرض، واستغلال حاجة الناس من الإكراه في الدين<sup>(١)</sup>.

#### ساحات الحوار:

عصرنا عصر انفتاح، تكسرت فيه الحدود والسدود، وتحطمت الحواجز، يحكى عن بشر بن مروان - وكان يظن به شيء من الغفلة - أنه ضاع له صقر في المدينة؛ فأمر بإغلاق أبوابها لئلا يذهب الصقر، ونسي أنه يطير في الفضاء.

نحن اليوم في عصر الفضاء، وفي عصر الانترنت، حتى الحكومات أدركت أن أسلوب المنع والحظر والتشويش لم يعد يجدي، وأن الحل الوحيد هو التزول إلى الميدان، ومقابلة الحجة بالحجة<sup>(٢)</sup>.

وحتى يكون الحوار مثمراً وناجحاً بين الأطراف المتحاوره، فلا بد من مراعاة المبادئ الأساسية للعلاقات البشرية والتي تطورت بين المسلمين والأمم والشعوب الأخرى تطوراً واكب طبيعة العصر ومتطلبات الحياة التي اقتضت التبادل التجاري والحوار الإيجابي والبعثات السياسية والتعليمية والدعوية، ولقي غير المسلمين في البلاد الإسلامية كل عناية ورعاية وتسامح وحياة هائلة وهادئة في ضوء تعاليم الإسلام وحضارته.

وكان لهذه العلاقات مبادئ وأسس تقوم عليها وتنطلق منها، وهي:

التوحيد	حدة الأصل البشري
كرامة الإنسان	التعاون البشري
التسامح	الحرية
الفضيلة	العدل
الوفاء بالعهد	منع الفساد في الأرض <sup>(١)</sup> .

(١) عبد الله عمر نصيف. التنسيق بين المؤسسات المعنية بالحوار، من أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، رابطة العالم الإسلامي، ص ١٢-١٣.

(٢) سلمان بن فهد العودة. محاضرة، المرجع السابق.

فمجالس الناس أصبحت اليوم عامرة بالمتناقضات، من الآراء والتوجهات والأقوال، مما يعتقدون وما لا يعتقدون، وما يدركون وما لا يدركون، ولم يعد مجدياً تسفيه الآخرين مهما تكن ضحالة أفكارهم، أو تفاهة حججهم، بل لا بد من الاستماع إليهم، ومنحهم الأهمية والاحترام، ومقارعة الفكر بالفكر، فالتناسب بين الداء والدواء ضروري حتى يتقبل الجسم العلاج، وينتفع به.

لقد أصبح الانترنت وساحات الحوار - وهي كثيرة جداً تعد بالآلاف باللغة العربية، فضلاً عن التعليقات في كل مواقع الانترنت - مرآة تكشف الخلل الكبير في آلية الحوار، وفي تجاهل الكثيرين لدائرة المتفق عليه بين المؤمنين والمسلمين، وأهل العلم، وأهل الدعوة، وأهل السنة، وهي دائرة واسعة جداً، سواء فيما يتعلق بالدين وفهمه، أو فيما يتعلق بالمصلحة وإدراكها وتحقيقها، أصبح هناك تجاهل كبير لدائرة المتفق عليه، وعمل واسع على دائرة المختلف فيه، وترتب على ذلك سلبيات في هذا الحوار الإلكتروني كثيرة، منها<sup>(٢)</sup>:

١- إن لم تكن معي فأنت ضدي، أو بمعنى آخر إما صفر أو مئة في المئة؛ فهناك المفاصلة بل والمقاصة، بمجرد أن أكتشف أن بيني وبينك نوعاً من الاختلاف أو التفاوت - حتى لو كان في مسائل جزئية أو صغيرة - نتحول إلى أعداء ألداء، بدلاً من أن تكون أصدقاء أوفياء.

٢- الخلط بين الموضوع والشخص؛ فيتحول نقاش موضوع معين، أو فكرة، أو مسألة إلى هجوم على الأشخاص، وتجريح واتهام للنيات، واستعراض لتاريخ هذا الإنسان أو ذاك، وبالتالي تتحول كثير من الساحات إلى محيط للفضائح والاتهامات وغيرها من الطعون غير المحققة.

٣- تدني لغة الحوار، وبدلاً من المجادلة بالتي هي أحسن تتحول إلى نوع من السب والشتم، وكما يقول الأئمة الغزالي، وابن تيمية، والشاطبي، وغيرهم أنه لو كان النجاح والفلاح بالمجادلة بقوة الصوت والصراخ أو بالسب والشتم لكان الجلاء أولى بالنجاح فيه، وإنما

---

(١) عبد الرحمن الماحي. الحوار في ضوء المبادئ الأساسية للعلاقات البشرية، من أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، رابطة العالم الإسلامي، ص ١٨.

(٢) سلمان بن فهد العودة. محاضرة، المرجع السابق.

يكون النجح بالحجة والهدوء، وفي المثل: العربية الفارغة أكثر جلبية وضجيجاً من العربية المملأى<sup>(١)</sup>.

٤ - القعقعة اللفظية؛ التي نحقق بها أوهام الانتصارات الكاسحة على أعدائنا، ونحرك بها مسيرة التنمية والإصلاح لمجتمعاتنا زعماً وظناً، وقد تسمع من يقول لك: كتب فلان مقالاً قوياً، فنتنظر من هذا المقال أن يكون مقالاً عميقاً، أبدع فيه وأنتج، وخرج بنتيجة جيدة، أو أحصى الموضوع من جوانبه؛ فإذا بك تجده مقالاً مشحوناً بالألفاظ الحادة والعبارات الجارحة، التي فيها الإطاحة بالآخرين الذين لا ينفقون معه؛ فهذا سر قوة هذا المقال عند بعضهم.

٥ - الأحادية، وأعني بها: "مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ"<sup>(٢)</sup> بحيث يدور الشخص حول رأيه ووجهة نظره، التي ليست شرعاً متزلاً من عند الله تعالى، ولا قرآناً يتلى، ولا حديثاً، ولا إجماعاً، وإنما هو رأي قصاره أن يكون صواباً.

٦ - القطعية؛ ويقصد بها: قولي صواب لا يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ لا يحتمل الصواب<sup>(٣)</sup>، على عكس ما قاله الإمام الشافعي.

ثم هناك التسطيح والتبسيط، فالأشياء التي لا نفهمها أو يشق علينا فهمها، أو تحتاج إلى روية وتأمل وتدبر، هي أشياء خاطئة ومخالفة للحق، ومخالفة للسنة، بينما الأشياء البسيطة السطحية السهلة الفهم يخيل إلينا أن فيها الحق والصواب، وأنها الموافقة للكتاب، وهكذا ما تجده في القنوات الفضائية، فكم من برامج الحوارات التي تدار، ويتناطح فيها أقوام من كافة الاتجاهات والمذاهب والمشارب؛ فتجد الصخب واللجاج، وانتفاخ الأوداج، والصفافاة والإحراج، وخذ إليك بعض الأمثلة التي وقفت عليها هنا أو هناك<sup>(٤)</sup>.

وقد تكون المسألة كلها محل نظر وتردد، وليس فيها نص عن الله ولا عن رسول الله صل الله عليه وسلم، وحتى في حالة القطع حينما يكون ما تقوله صواباً قطعاً، وما يقوله الآخر خطأ

(١) سلمان بن فهد العودة. محاضرة، المرجع السابق.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(٣) ما ينسب إلى الإمام الشافعي عكس ذلك وهو: رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

(٤) سلمان بن فهد العودة. محاضرة، المرجع السابق.

قطعاً؛ فإن من الحكمة أن تبدأ الدعوة والحوار بدائرة المتفق عليه، كما علمنا ربنا عز وجل: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" <sup>(١)</sup>، بل علمنا الله تبارك وتعالى أعظم من هذا في قوله سبحانه وتعالى: "قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" <sup>(٢)</sup>.

فانظر كيف عبر بلفظ الإجماع: "قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا" <sup>(٣)</sup>، أما ما يعمل الآخرون فقال: "وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ" <sup>(٤)</sup> وهذا من باب التترل للخصم كما يقال، وقال الله سبحانه وتعالى: "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا" <sup>(٥)</sup>.

إن هدوء الإنسان، واستقرار نفسه، وهدوء لغته، وحسن عبارته، وقوة حجته هو الكفيل بأن تنصاع له القلوب، وأن يصل الحق الذي يحمله إلى أفئدة الآخرين، وأن يتغلب على باطلهم <sup>(٦)</sup>.

لعل أمر واقعية التنوع وضرورة التلاقي عند قضية ما وفق أسس سليمة؛ ينطلق من حقيقة كونية أرادها الله تعالى، وفي النص القرآني ما يؤكد ذلك، قال تعالى: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)" <sup>(٧)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٥.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

(٦) بن فهد العودة. محاضرة، المرجع السابق.

(٧) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.